هجرة سكان المدن

الى الريف

كان من أثر هذه الحرب القائمة أن هجر كثير من سكان المدن — وخاصة الإسكندرية والقاهرة — الى الريف . وشجعت الحكومة هذه الهجرة بأن تبرعت بنقل الفقراء بالمجان الى المحطة التى يريدون النزول فيها ، ويقال إن المهاجرين الى الريف من جميع الطبقات لايقلون عن ربع مليون، وهذا عدد ضخم يجب أن يتأثر به الريف المصرى فى الوقت الحاضر وأن يجد فيه منفرجا لبعض ضيقه ، كما أن هؤلاء " المدنيين " سوف يتعرفون الى الريف ويدرسون أحواله ويدركون مقدار الفاقة التى يعانيها الريفيون فيكون من أثر هـذا التعرف زيادة فى التعاطف بين المدينة والقرية ، وباعث على الإصلاح فى المستقبل .

ومع أن مساوئ الحرب لا يمكن أن يعادلها شيء فان ظروف هذه الحرب القائمة قد جعلت الأغنياء — لأول مرة — يفكرون فى قضاء الصيف فى مصر سواء فى الريف أو فى المصايف الصغيرة التى لاتلفت نظر الطائرات، فما كان ينفق كل عام فى المدن والمصايف الأوروبية سينفق هذا الصيف فى مصر ، وبعضه بل معظمه سينفق فى الريف ويكون من ذلك انتعاش عام . فان المرأة الريفية التى كانت تبيع الفراخ والبيض والزبدة للتاجر بالأثمان الرخيصة بل بالأثمان البخسة ستبيع هذه الأشياء للمهاجرين مباشرة بأثمان حسنة وتجد من ذلك وسيلة إلى الترفيه عن نفسها أو لادها بشراء بعض الحاجات . والريف المصرى عند هؤلاء المهاجرين محاسن ومساوئ . فأما المحاسن فيرجع معظمها إلى قلة النفقات وإلى الأطعمة الطبيعية الوفيرة وإلى نشاط الأطفال فى الشمس والهواء اللذين يبعثان فيهم العافية . وقلة النفقات ستكون عند بعض من هؤلاء المهاجرين مفاجأة عجيبة . ذلك أن الريف لا يقتضى سوى القليل من الملابس التى لا يبلغ ثمنها فى العام مقدار نصف الثمن لبذلة أو فستان مما يحتاج إليه سكان القاهرة أو الاسكندرية . وليس فى الريف سيل من الأجور والنفقات فى الترام والسيارة والقهوة والدار السينمائية وغير ذلك مما يضيع قروشا صغيرة تتراكم آخر الشهر وتصير جنيهات ثقيلة . وذلك البيت الذى تعود أن ينفق عشرين جنيها فى الشهر سيجد نفسه قانعا راضيا بثلاثة أو أربعة جنيهات . زد على ذلك هذه الأطعمة الطبيعية الكثيرة التى تخرج من الحقل طازجة فتعد وتطهى وهى ناضجة غنية بالفيتامينات . وحرمان هـذه

العائلات المتمدنة مما ألفته من أطعمة مجهزة كالحلويات والفطائر هو كسب وليس خسارة . والأولاد فى انطلاقهم فى الحقول سيكسبون من الشمس والهواء ما سوف يلفح وجوههم بصبغة الصحة والعافية . وإن يوما واحدا فى الريف عند صبى أو بنت ينطلقان عاديين أو ممتطين حمارا لجدير بأن يبعث الدم يوزد وجناتهما . وهؤلاء الأطفال يتعرفون إلى أطفال الريف وينبعثون إلى التفكير فى فقرهم ويكون من ذلك أثر جميل عند ما يبلغون سن الرجولة ويذكرون هذه المزاملة القديمة فينبعثون إلى التفكير فى الإصلاح . وليس التعرف إلى الحقول والزراعة وحصاد القمح وجنى القطن وسائر النباتات التى يحفل بها ريفنا مما تستصغر قيمته فان الفتاة التى تعودت أن ترى على المائدة ألوانا مختلفة من الرز والبطاطس والطماطم والباميا والقرع تغتبط وتستنير عند ما ترى هذه البقول فى الأرض ولكن العائلة التى تهاجر إلى الريف لن تجد كل شىء على ما تحب وتهوى . لا بل هى فى حاجة إلى اليقظة والعناية حتى لا يمرض الأطفال . فان البلهارسيا والانكلستوما تختبئ لأبدانهما فى طين القنوات وسرعان ما تنفذ هذه الديدان إلى الأقدام الناعمة الصغيرة التى تعودت الحذاء فى المدينة . فلا بد من العناية بمنع الأطفال من السير حفاة فى الريف . كذلك الذباب الذى يتكاثر يجب أيضا أن يتقى . وهناك عدوى الرمد والقراع وكلاهما يحتاج الى اتخاذ الاحتياطات .

والريف يشقى بسوء الأمن العام للفاقة الملحة على السكان . ولكن هجرة المدنيين من ناحية ستخفف هذه الفاقة كما أن مبادرة الحكومة الى القبض على المريبين سيجعل الأمن مكفولا طول مدة هذه الهجرة . ومن الحسن بل من الدين والبر أن ينشط المهاجرون المدنيون الى مساعدة الفقراء من الريفيين والتخفيف عنهم فى هذه الأيام حتى تكون هجرتهم فرصة لممارسة البر . وهم مهما أنفقوا فلن تبلغ نفقاتهم فى المبرات كسرا صغيرا مما كانوا ينفقون على الملاهى فى المدينة .

وأسوأ ما سيجد هؤلاء المهاجرون هو هندسة المنزل الريفى وبناؤه . فان الشائع فى مواد البناء هو الطوب الأخضر والمنزل ينفتح عادة على فناء مكشوف تضربه الشمس والنوافذ طويلة الارتفاع قصيرة العرض . وأسوأ ما فى هذا البيت هو المرحاض الذى يخلو من وسائل النظافة المألوفة . وبعد ذلك وفرة البعوض والذباب اللذين ذكرناهما .

على أن كل هذه المساوئ أو النقائص اذا لم يكن من الميسور تحاميها فلا أقل من معالجتها والتخفيف من آثارها . ومعظم هذه المساوئ إن لم نقل جميعها يرجع إلى أن الأغنياء قد استقروا فى المدن وتركوا ريفهم ترك الاهمال التام وأصبحت منازلهم فيه مخازن للغلال لا يلتفت الى تحسينها أو تنظيمها أى التفات ولو كانوا قد اعتادوا زيارة هذا الريف فى بعض الفصول لوالوا منازلهم بالعناية والتحسين .

على أن الحال ليست مع ذلك مما يدعو إلى اليأس، فان قليلا من العناية وأقل من النفقات يجعل المسكن الريفى لائقا للسكنى. وأول ذلك أن يجهز المهاجرون أنفسهم بصيدلية صغيرة تحتوى على الاسعافات التى يعين عددها ومقدارها طبيب أو صيدلى . فمن ذلك مثلا مضخة السوائل التى تتبخر لمكافحة الذباب أو البعوض . وقليل من المعقمات والمطهرات للجروح وأمراض العيون مع مسهل خفيف للأطفال ومسهلات أخرى للبالغين . واذا وضعت على النوافذ شبكة لمنع الذباب فان القاعد فى الغرفة يهنأ بالاضطجاع فيها دون هذا العنت الذى يحدثه طنين الذباب .

ثم بعد ذلك يجب أن يصلح المرحاض بأن تفرش أرضه بالأسمنت وتكسى جدرانه بالجير ويصنع له غطاء . ومهما تكن التكاليف لهذا الترميم ، وهى ليست كبيرة ، فان المهاجرين يجدون أنها دون الفائدة التى يجنونها من نظافة المرحاض . وهى فائدة عملية وصحية معا .

أما الأثاث الذى يحمل الى الريف فيجب أن يكون خفيفا متينا بل يمكن العائلة المهاجرة أن تستأجر بعض النجارين لصنع الرفوف والخزانات والمقاعد والأسرة الساذجة ، ويجب أن يكون المنزل بعيدا عن السكك الزراعية التى تثير غبارها الأوتومبيلات .

وهناك من المهاجرين من يحملون معهم جهاز الراديوفون ويديرونه ببطارية قليلة التكاليف فيسمعون كل يوم أخبار العالم ويطربون بما فيه من موسيقى وأغان . ويحسن كل مهاجر الى الريف إذا هو اشترى مصباحا بطاريا وتلسكوبا حقليا لكى يزيد مدى بصره فى النهار وينير ظلمة الليل .

ولتكن هذه الحرب فرصة نستخرج من نقمتها نعمة، ونتعرف عن سبيلها الى إخواننا المصريين الريفيين .